

## ما هو العلاج ؟ (1)

بقلم الأستاذ الزاهري العضو الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

جاءني من الأخ المفضل صاحب الإهداء هذا الكتاب الآتي :

>> إلى حضرة الأستاذ الشيخ الزاهري السلام عليكم ورحمة الله . في هذه الأيّام تحادثت مع بعض المتنورين أصحاب القول السليمة والمعلومات التامة من الذين أثق بهم وبإخلاصهم ، فتفاوضنا في أحولنا السيئة ، فيما يجب أن نتخذه من علاج لأمراضنا ، فقالوا لي يجب على علمائنا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الذين يشتغلون بالإصلاح الإسلامي أن يتركوا الاشتغال بالعقائد وبالأمور الدينية بالمرّة ، وينبغي لهم بدل ذلك أن يفعلوا ما فعلت مصر من ترجمة الكتب الأوروبية ونقلها إلى لغتنا العربية ، ووضع القواميس ... قالوا : فهذا لا يغيره نرقى وننهض أم الخوض في العقائد لإصلاحها أو لتبديلها فهو أمر لا جدوى منه . ولما خير فيه ، ولقد أقتنعوني بصحة هذه الفكرة فأصبحت أعتقد أن أمّتنا المسلمة العربية لا تنهض ولما ترقى إلّا إذا اشتغل علماءنا المصلحون ( أي جماعة العلماء المسلمين الجزائريين ) بالترجمة والتعريب عن اللغات الأجنبية الحية ، وبوضع القواميس .

>> وإنّي أرجو من حضرتكم أن تقولوا لنا كلمتكم في هذا الموضوع ، وقد عرفنا منكم الرأي المصائب ، والمنظر السديد ، وأن تنشروا جوابكم في جريدة << المصراط السوي >> فهل أنتم متفضّلون بالجواب ؟ وتفضّلوا في المختام بقبول أطيب تحياتنا وأزكاها ، من المخلص : الطاهر العفيضي <<

في عين تموشنت من عمالة وهران ( الجزائر )

وأنا أشكّر لهذا الأخ المفضل ثقته بي ، وأشكره على ما أولانيه من الظنّ الجميل ، فاخصّني بالسؤال دون سائر الأدباء والعلماء المصلحين ، وإنّنا نطلب من جميع قرائنا الكرام أن يوافقونا بما يكون عندهم من أسئلة وأفكار أو ملاحظات لنكون بهم على اتصال متين ، كما فعل الأخ السيد العفيضي هذا .

ولقد قرأت هذا الكتاب وأعدت قراءته فإذا مضمونه أن هؤلاء الذين يُسمّيهما السائل << متنورين أصحاب عقول سليمة ومعلومات تامة >> يطلبون منّا نحن معشر جماعة الإصلاح الإسلامي أن ندع أشياء وأن نأتي أشياء أخرى ، يطلبون منّا أن ندع ما نحن فيه ، وما أمضينا فيه عهدا طويلا ويحُودا جمة وبالحري يطلبون منّا أن ندع هذا الإصلاح الإسلامي فلا نعتني بعقيدة من العقائد ولما بأمر من أمور الدين ، ويطلبون منّا أن نعتني — بدلا من ذلك — بكتب الأجانب نترجمها إلى لغتنا ، ونضع القواميس العربية الفرنجية ، وما إلى هذا لأن مصر فيما يرى هؤلاء << المتنورون ... >> قد نهضت بمثل هذه الترجمة لا بإصلاح العقائد ولما بأمر الدين .

لقد صدق من قال : << إن الانتقاد سهل ، ولكن العمل صعب >> ، وإلّا فلماذا لا يكون هؤلاء << المتنورين ... >> عمل غير انتقاد العاملين ، ولو أنّ هذا الانتقاد كان من رجل عمل لإصلاح هذه الأمة وسعى في خيرها مع هؤلاء المصلحين العاملين ثم تبين له

بالتجربة أن السعي لإصلاح العقائد وأن نشر الفضيلة والخُلُق الكريم لا ينفع هذه الأمة ولما يُجديها لقُنا: هذا رَجُلٌ مُجربٌ يجب أن نُعطي رأيه كثيرا من العناية والاعتبار، أم وهؤلاء «المُتَنورون...» لم يعملوا أدنى عمل لهذه الأمة، ولم ينزلوا قط إلى ميدان الأعمال العمومية ولما إلى مُعترك الحياة، فإن آراءهم فيما لا يعلمون لا ينبغي أن نهتم لها كثيرا.

□ □ □ □ □ □ يعتقد هؤلاء المُتَنورون أن خير علاج لهذه الأمة هو أن يشتغل علماءها المُصلحون بترجمة المُكتُوبِ الفرنجية وبوضع المقواميس، وهذا العلاج علي فرض أنه صحيح فلا يقدر عليه غير هؤلاء المُتَنورين أنفسهم فهم الذين عرضوا بعض اللغات الأجنبية، أم العلماء فيهم تهم دينية اجتماعية وليست مهمتهم الترجمة والتعريب، على أن هذه الفكرة هي باطلة غير صحيحة لأننا لو اشتغلنا بالترجمة والتعريب وبوضع المقواميس العربية الفرنجية فمادنا ينفع ذلك في أمة كأمنا لا تزال في حاجة إلى تعلم حُرُوف المهجاء؟

□ □ □ □ □ □ لقد اشتغلت تركيا الحديثة بترجمة كُتُوب الإفرنج، وأشرف القائمون بالترجمة من أبنائها فيما يُترجمون، وألحوا على أمّتهم بذلك حتى كانت النتيجة هي أنهم ترجموا أمّتهم المسلمة الشرقية إلى أمة غربية كادوا يسلمونها طوعا أو كرها عن دينها الإسلام.

□ □ □ □ □ □ ولقد اشتغلت مصر بالترجمة وأسرفت فيها فوقعَت اليوم في حيرة شديدة لا تعرف لنفسها معها مخلصا ولما مصيرا، وأنت إذا نظرت إلى هذه المُكتُوبِ التي عربوها لحد الآن وجدت فيها من المس فاسف شيئا كثيرا، نحن في حاجة شديدة إلى العلوم والمصناعات التي نهضت بها أوروبا، وكان واجبا على الذين يُحسنون اللغات الأوروبية من أبنائنا أن ينقلوا لنا من كُتُوب الفرنجة كُتُوب المصناعات والعلوم، ويترجموها إلى لغتنا، ولكنهم بكل أسف قد قصروا من هذه المنحى فلم يُترجموا لنا من كُتُوب العلم والمصناعات إلّا قليلا ولكنهم من جهة أخرى أسرفوا في ترجمة الروايات الخليعة التي هي آفة على الأخلاق، وخُذ مثلا لك الأستاذ الدكتور طه حسين وهو مشهور قد ترجم عن الفرنسية ولكن له لم يُترجم إلّا أفجر الروايات وأشدّها خلاعة واستهتارا، وهو حينما أنكر إعجاز القرآن الكريم عرب رواية نشرها في مجلة الهلال قال في أولها: إن هذه الرواية هي أروع آية من آيات الأدب المحي وأنّها قد بلغت أعلى درجة من درجات الإعجاز، وقرأت أنا هذه الرواية فإذا هي تافهة موضوعها أن راقصة إيطالية قد أحبها شيخ كبير من الأمريكان، ووصلته ذات يوم فكان بينه ما من الخطيئة والإثم ما يخجل منه حتى الخجل والحياء غير أن الدكتور طه وصف ذلك كله وصفا يُشوق القارئ ويغريه، والكلام هنا طويل مُترامي الأطراف لا تتسع له هذه المصفحة وقد نعود إلى هذا الموضوع ولكن رحم الله مالكا فقد كان يقول: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلّا بما صلح به أولها».

محمد السعيد الزاهري

□: جريدة المصراط السويّ العدد الحادي عشر، (11)